HNSJ Humanitarian & Natural Sciences Journal
ISSN: (e) 2709-0833
www.hnjournal.net
مجلة العلوم الإنسانية والطبيعية
مجلة علمية محكمة
معامل التأثير العربي للعام 2020م = 0.44

عنوان البحث

التشخيص والتجسيد في ديوان أبي حيان الأندلسي ت 745 هـ

أ.م.د مها هلال محمد[1]

[1] جامعة ذي قار/ كلية التربية للبنات/ قسم اللغة العربية

بريد الكتروني: hassanharly13@gmail.com

تاريخ النشر: 2021/05/01م تاريخ القبول: 2021/04/25م

المستخلص

يدرس البحث ظاهرتان لهما أهمية واضحة في الدراسات البلاغية، متمثلة بـ (التشخيص والتجسيد)، وقد كان في شعر أبي حيان الأندلسي موضعاً بارزاً لهما، إذ أستعملهما على نطاق واسع في ديوانه الشعري؛ للتعبير عما يختلج نفسه من مشاعر وهموم وأحزان، فكان كلا من (التشخيص والتجسيد) أداة مائزة عند الشاعر؛ من أجل إتمام عملية بث ما يشعر به من خلجات وأحاسيس معينة، وفي الوقت ذاته بيان التفوق في استعمال أساليب البلاغة واستعاراتها المتنوعة.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين ، أما بعد :

يحكي عنوان البحث الاعتناء بظاهرتين بارزتين في علم البلاغة ، خاصة فيما يتعلق الأمر بظاهرة الاستعارة ، ودورها البلاغي والجمالي والدلالي ، في تأدية المعنى الذي يبتغيه الشاعر من جهة ، والتأثير في نفس المتلقي من جهة أخرى .

فكان عنوان البحث (التشخيص والتجسيم في ديوان أبي حيان الأندلسي ت 745 هـ) متخذا من الابيات الشعرية المتنوعة والمتناثرة في ديوانه الشعري ، مادة خصبة لابراز هذين العنصرين المهمين ودورهم في توضيح المعنى وترسيخ الدلالة .

التشخيص والتجسيد في ديوان أبي حيان الاندلسي ت (745) هـ

التشخيص : – يعد التشخيص ((ظاهرة فنية وسمة من سمات العربية ، واسلوب من اساليبها التعبيرية ، بل هو سمة تلحظ في كل لغة)) (1) ، و ((الذي ترتفع فيه الأشياء الى مرتبة الإنسان مستعيره صفاته ومشاعره))(2) وهو الى جانب ذلك لون من ألوان ((التخييل)) يتمثل في خلع الحياة على المواد الجامدة والظواهر الطبيعية ، والانفعالات الوجدانية(3)

أما التجسيد : – فهو ((خلع الصفات المادية على الاشياء المعنوية تطميناً لرغبة أو اشباعاً لحالة من الخواء العاطفي))(4)، أو هو تقديم المعنى في جسد شيء أو نقل المعنى من نطاق المفاهيم إلى المادية الحسية(5)

وابو حيان استخدم هذين الأسلوبين لبناء صوره، إذ انهما لا يأتيان بعيدين عن الوسائل الأخرى التي تسهم في بناء الصورة الشعرية.

ومن تشخيصاته قوله (6) :–

ترى مقلة المحبوب تقرأ اطرفاً فيا لطف معنىً انتجت تلكم النجوى

يناجي ضميري بالمراد ضميرها فتصغي ولكن لا تزيل لنا الشكوى

وأشكو لها وجداً قديماً حديثه من الجن قد لاحت بصفحةِ من يهوى

إذ اسبغ ابو حيان صفات إنسانية على كل من (مقلة المحبوب وضميرهما)، والمعروف أن العين لا تقرأ وإنما تبصر، وفي هذا امرين تشخيص للعين بان جعلها تقرأ وهو فعل من أفعال الإنسان إلى جانب استشراف دائرة الحواس فهو قد اسند فعل حاسة (الذوق) القراءة إلى حاسة (البصر) فجعل العين تقرأ.

وها هو ضميره يناجي ضمير الحبيبة ، والمناجاة فعل من افعال الإنسان في الدعاء والابتهال ، أسنده إلى ضميرهما، دلالة على مدى الشوق المبرح به اتجاه الحبيبة0 فالتشخيص قد اسند بدائرة تبادل الحواس إلى جانب رد العجز على الصدر في البيتين الثاني والثالث فهو يبدأهما بـ (يناجي) و (اشكو) وينهيهما بـ (النجوى) و(الشكوى) التي لا تزول مهما صغت له حبيبته0

وقوله (7) :-

هي الوجنة الحمراء والشفة اللميا لقد تركاني في الهوى ميتا حيا

هما البسا جسمي سقاماً وأورثا فؤادي غراماً حمله الصب قد أعيا

فهو قد عامل كلاً من (الوجنة الحمراء والشفة اللميا) معاملة الإنسان بإسناده فعلاً ليس من فعلهما بقوله : (لقد تركاني) والذي يترك الإنسان وليس الوجنة أو الشفة ، ولعل حالة التضاد تدل على ما كان يعانيه في هذا الحب ، فهو (ميت حي) ، وبعد فهو يستمر بإنسنتهما بإسناد فعل اللبس اليهما فهما قد ألبسا جسمه سقاماً وفي هذا تجسيد للسقام إذ جعله في جسد شيء ، فجسمه ، جاعلاً منه ثوباً يرتدي.

ثم يشخص مرة اخرى كل من الوجنة الحمراء والشفة اللميا بأن نسب لهما فعل الوراثة ليدل على مدى تأثيرهما على جسمه وقلبه.

أن مثل هذا التكثيف في إسناد أفعال الإنسان الى غيره من المحسوسات يشير الى القيمة الأنفعالية ومدى تغلغلها في نفس الشاعر من جهة ، والتصاق المشاعر القوية والحادة بالمنظورات التي تكون جزءاً من وساطة تهدف ، من دون تخطيط مسبق الى مشاركة الشاعر انفعاله الوجداني من جهة أخرى(8).

ومن ضروب تشخيصه الاستعاري قوله(9):-

وناعورة تحكي بطول بكائها ورنتها صباً كثير التشوق

لئن ضاق منها الجفن من عبراتها فاضلاعها عن دمعها لم تضيق

بكت فأرتنا الدهر يضحك إذ بكت وناحت فأزرت بالحمام المطوق

فبداعة الصورة الاستعارية وحيويتها متأتية من الدور الذي لعبه عنصر التشخيص الاستعاري في اضفاء صفات الانسان على الناعورة ، إذ قام بأنسنة الناعورة بجعلها انسانا عاشقاً باكياً واذا ضاق جفن عينيه من كثرة بكائه فاضلاعه لن تضيق بدمعه.

وهو بتشخيصه للناعورة يطل بنا على تشخيص آخر متمثلاً بـ (الدهر) فهي أي الناعورة ببكائها ارته الدهر ضاحكاً ، وهو فعل من أفعال الإنسان ، كما لا يخفي تشبيه الناعورة بالعاشق الباكي المتلهف لرؤية من أحب باستخدام فعل التشبيه (يحكي) . إلى جانب نوح الناعورة ، والناعورة لا تنوح ، ولكنه اسند فعل النوح لها ، ليبرز سبب تجمع الحمام حولها.

فالتشخيص الاستعاري في هذه الصورة أسبغ صفات الإنسان (البكاء – الضحك – ضيق الجفن – الاضلاع – النوح) للإبانة بهذه الأفعال عما تحمله الناعورة من جمالية العمل الذي تعمله والجو الذي تخلقه.

وقوله (10) :-

بروحي التي زارت بليلِ واقبلت تجر على آثارها العصب والوشيا

هداها سناها نحو طاوِ ضلوعه على سلوةٍ ماتت ووجدٍ بها حيا

فـ (الروح) لا تدرك في الواقع إدراكاً عقلياً لكننا في النص نجدها قد شخصت استعارياً فاصبحت تزور وتقبل وتجر وهي أفعال مسندة للإنسان ، وليس للروح المنزهة عن شوائب الماديات ، وهو إلى جانب تشخيصه الروح فإنه في البيت الثاني يجسمها بإضفاء الضوء أو النور عليها الذي يهديها في زيارتها لمن تحب وتبغي . والإستعارة في (طاوِ ضلوعه) فالضلوع لا تطوى ، جاء بها كناية عن الحزن العميق.

و(السلوة) لا تموت لأنها شيء غير محسوس ، فاسند لها الموت مشخصاً إياها إنساناً ميتاً ، و(الوجد) جعله حياً ، وهو شيء غير محسوس البتة فكيف يحيا ؟ وهكذا كان للرؤية الخاصة تأثير في توليد النص الذي كان محاولة فنية دلالية على شدة الشوق لرؤية الحبيبة الذي جعله يسند افعالاً الى اشياء غير محسوسة للتعبير عن شوقه.

وقوله (11) :

بوجهِ يلوح الحسن من قسماته وقدِ كغصن البان والبان شارخ

وردف حماه أن ينـال بنظرةٍ من الشعر المضفور اسود سالخ

فالتشخيص الاستعاري جاء محتوياً البيت الثاني ، إذ استعار للشعر المضفور فعلاً من أفعال الإنسان (الحماية) ، فهو يحمي ردف الحبيبة من النظر اليه . فهو عندما اراد التعبير عن سواد الشعر وعظم الردف لدى محبوبته استخدم عنصر التشخيص ليدل على ذلك.

وقوله (12):-

كالشمس لكن انما وجهه لفرط حسنِ فيه لن يكسفا

عربد منـه طرفـه وهو لا يشرب حاشـى دينـه قرقفا

فهو بتصويره جمال الحبيبة ، يصور سحر عينيها وذبولهما وقوتهما وتأثيرهما ، مختاراً عنصر التشخيص الاستعاري لبيان ذلك مسنداً لها فعلاً من افعال الإنسان (غير الصاحي) جاعلاً طرفها يعربد ، والطرف لا يفعل ذلك ، ثم تأتي المفارقة في الشطر الآخر ، فهو بعد أن نسب للطرف فعل العربدة نفى عنه شرب الخمرة.

وقوله (13):-

غذيت بعلم النحو إذ در لي ثديا فجسمي به ينمي ، وروحي به تحيا

وقد طال تضرابي لزيد وعمره وما اقترفا ذنباً ولا تبعا غيا

وما نلت من ضربيهما غير شهرةٍ بفنِ وما يجدي اشتهاري به شيا

الا إن علم النحو قد باد أهله فما ان ترى في الحي من بعدهم حيا

يستهل ابو حيان مقدمة قصيدة في مدح الإمام الشافعي (رض) ببيان دور النحو في تعليمه وتمكنه منه ، مشخصاً إياه أما مرضعة تدر بحليبها لوليدها لينمو ويحيا به . فهو بتشخيصه استطاع ان يقدم لنا حقيقة تمكن هذا العلم منه حتى اصبح محط شهرته وسعة صيته . ثم يمدنا بصورة تشخيصية أخرى لعلم النحو إذ جعله انساناً ظالماً جائراً بإسناد فعل (باد) له ، وهذا على سبيل الاستعارة التي تعطينا مزيداً من الأفكار حول هذا العلم الجليل وتمكنه من طالبي العلم.

وقوله (14) :

يا نسيم الصبا الا احمل سلامي للاحباء حين شط المزار

قلت للنفس وهي ذات اضطرابِ استكني فقد تقضى السفار

قد اتانا مبشر بالتداني وغداً تجمع الحبيب الديار

فـ (نسيم الصبا) شيء يدرك بالحواس ، شخصه بإسناد فعل من أفعال الإنسان اليه إذ حمله سلاماً الى من فارقهم ، وهذا يقودنا الى تشخيصه النفس فهو يخاطبها ويصبرها كما يصبر إنسانا على فراقه أحبته ، بان

سوف ياتي مبشر بقرب رجوعهم واللقاء بهم.

إن هذا التشكل الاستعاري (التشخيص) استطاع التعبير عما يجيش في نفس أبي حيان اتجاه أهله الذين فارقوه من الشوق للقائهم وتصبير نفسه على ذلك .

وقوله (15):-

فتاة كساها الحسن افخر ملبسٍ فصار عليه من محاسنها طرز

واهدى اليها الغصن لين قوامه فماس كأن الغصن خامره العز

يضوع أديم الأرض من نشر طيبها ويخضر في آثارها تربه الجرز

وتختال في برد الشباب اذا مشت فينهضها قد ويقعدها عجز

شمل المتناقضات في النص تصالحاً وتكاملاً بعد تجردها من حسيتها عن طريق خلع صفات تشخيصية وتجسيدية عليها . فـ (الحسن) وهو شيء معنوي يدرك بالحواس ، شخصيه بان جعله كاسياً والذي يكسو هو الإنسان . و(الغصن) لا يهدي لأنه شيء محسوس فشخصه بإضفاء فعل الإهداء له ثم (العز) الذي خامر الغصن والعز صفة من صفات الإنسان. و(أديم الأرض) شخصه ليشارك في بيان جمال الحبيبة التي جعلت أديم الأرض يتحرك من طيب رائحتها حتى إن الأرض التي لا ينبت فيها الزرع قد اخضرت لطيب رائحتها.

وبعد فهي بجمالها تختال اذا ما مشت مرتدية (برد الشباب) والشباب شيء معنوي يدرك بالحواس فجسمه بأن جعله ثوباً يرتدي . فهو بتجسيمه الشباب استطاع ان ينقله من الحضور الذهني إلى الرؤية والمشاهدة.

ومن الأمثلة التي تجسد هذه الظاهرة قوله(16):-

ايا ناصر الدين الذي عم فضله وقد شملتنا بالنوال شمائله

تبسم هذا القطر اذ انت حاضر به وجرى سلساله وجداوله

ففي كل روضٍ منه عين قريرة وفي كل زهرٍ منه زهر تشاكله

ينافسني فيك الزمان حسادةً إذا رمت لقياك استمرت شواغله

النص مطلع من قصيدة يمدح الشاعر بها ملك مصر (ناصر الدين محمد بن قلاوون) بجوده وكرمه الذي شمله . وهو في تصويره فضل (ناصر الدين) واعتزازه به لجأ الى التشكل التشخيصي لابرازه جاعلاً من (القطر) إنسانا بإسناده فعل الإبتسام له ، فإذا حضر (ناصر الدين) فأن القطر يبتسم ويفرح بمجيئه فتجري مياهه وجداوله.

والزمان لا ينافس لأنه شيء معنوي لا يدرك إلا بالعقل فشخصه باسناد فعلي (المنافسة والحسد) جاعلاً منه إنساناً منافساً حاسداً له كلما التقى ناصر الدين استمرت افكاره فيهما.

فالتشخيص الإستعاري له دور كبير في بيان قيمة الممدوح من جهة ، وقدره عند أبي حيان من جهة اخرى.

وقوله (17):-

لساني كتوم للهوى وجوارحي بحب الذي قد حل فيها نواطق

فاللسان مهما استطاع أن يكتم قول الحب او الاعتراف به ، فان هناك الجوارح التي تنطق بهذا الحب .

وهذا على سبيل الاستعارة التشخيصية ؛ لأن الجوارح لا تنطق وإنما الإنسان.

فبتشخيصه استطاع أن يبين حقيقة واقعية ، أن الجوارح تنطق بالحب اكثر من اللسان نفسه.

نختتم بحثنا الاستعاري بتشخيصه نفسه يقول (18) :-

وعفت الدنايا لم اكن قط سائلاً لرفدٍ ولو أن النضار به أعطى

سجية نفس نافست في ارتضاعها بثدي المعالي او تعاني بها ملطا

ولي همة هامت بإدراك غايةٍ من العز من يبصر بها يكثر الغبطا

فـ (النفس) لا تنافس وإنما الإنسان ، فشخص نفسه التواقة الى المعالي ناسباً لها صفة الارتضاع من الثدي ، ولكن أي ثدي ؟ إنه ثدي المعالي ، والمعالي شيء معنوي يدرك بالعقل فشخصه بإضفاء الثدي له ، ثم إن هذه النفس لتعاني لكثرة ما ارضعت من ثدي المعالي . اما همته فقد (هامت) بإدراك العز والعلى ، والهمة لا تهيم أو تعشق وهذا هو التشخيص الذي يبرز المعنويات في لبوس جديد بنقلها من التصور الذهني الى الحضور والمشاهدة .

الخاتمـــــــة

أبرز نتائج البحث :

- ✓ استخدم أبو حيان كلاًّ من التشخيص والتجسيد في بناء صوره لما في هذا الأسلوب من قدرة في التعبير عن ادق المشاعر والعواطف إزاء من يحب.
- ✓ استخدامه لاسلوب التشخيص الاستعاري بكثرة ، سابغاً الكثير من الصفات الانسانية على اشياء محسوسة او غير محسوسة لبيان جوانب نفسية معينة من خلالها.
- ✓ أكثر الأغراض التي جاءت مستوعبة لمبحثي (التشخيص والتجسيد) هو غرض الغزل او بمنطوق آخر شعر الحب ، إذ استطاع من خلال هذين الاسلوبين بث الكثير من الرموز العاطفية التي لا يستطيع احد الاساليب البيانية الاخرى استعمالها.
- ✓ يتمتع التشخيص بسطوة بلاغية وجمالية في آن واحد ، فهو ينقل المتلقي إلى عالم من الخيال الملموس في عقله فقط ، وهذا الأمر هو ما يخلق متعة القراءة وعملية البحث المتواصلة من القارئ إزاء النصوص الشعرية المختلفة أو المميزة .
- ✓ لتجسيم غاية لدى الشاعر من أجل أبراز الأشياء في صور وشكل غير متداول أو مألوف سابقا ، وهذا ما يخلق جوا من الاحساس بالمتعة حال تلقي النص عند القارئ الحاذق أو المميز للنص الجمالي عن غيره العادي المتداول .

الهوامش

(1) التشخيص الفني لعناصر الطبيعة في القرآن الكريم :24 .
(2) الصورة الفنية في شعر ابي تمام : 169 .
(3) ينظر : التصوير الفني في القرآن الكريم : 57 .
(4) شعر محمد راضي جعفر دراسة تحليلية فنية : 102 .
(5) ينظر : الصورة الفنية في شعر ابي تمام : 168 .
(6) ديوان أبي حيان الأندلسي : 406 .
(7) نفسه : 413 .
(8) ينظر : رماد الشعر: 233 .
(9) ديوان أبي حيان الأندلسي : 314 .
(10) نفسه : 419 .
(11) نفسه : 146 .
(12) نفسه : 298 .
(13) نفسه : 484 .
(14) نفسه : 204 .
(15) نفسه : 207 .
(16) نفسه : 368 .
(17) نفسه : 311 .
(18) نفسه : 263 .

المصادر والمراجع

- التصوير الفني في القرآن الكريم ، سيد قطب، دار المعارف ، القاهرة،1963م.
- ديوان أبي حيان الاندلسي ، تح : د.احمد مطلوب ، د. خديجة الحديثي، مطبعة العاني ، بغداد ، 1969م .
- رماد الشعر دراسة في البنية الموضوعية والفنية للشعر الوجداني الحديث في العراق ، د.عبد الكريم راضي جعفر ، طباعة ونشر دار الشؤون الثقافية العامة ((افاق عربية)) ، ط1 ، بغداد ، 1998م .
- الصورة الفنية في شعر أبي تمام ، د. عبد القادر الرباعي ، جامعة اليرموك، الاردن ، ط1 ، 1980م.

رسائل الماجستير

- شعر محمد راضي جعفر دراسة تحليلية فنية ، لؤي شهاب محمود سعيد العاني رسالة ماجستير – كلية التربية ابن رشد . جامعة بغداد 2000م .

المجلات

مجلة منار الاسلام ، التشخيص الفني لعناصر الطبيعة في القرآن الكريم ، بقلم الاستاذ كاصد ياسر الزيدي ، ع9 ، السنة 27 ، رمضان 1422هـ ، نوفمبر ديسمبر ، 2001م .